

المستطرف في كل فن مستظرف

وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلاثمائة سن وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعدة فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل وقرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم أنفه ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل أن الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه إلا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وإنما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو ماء أولجه في فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور .

حكى عن هارون مولى الأزد أنه خبا معه هرا ومضى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في جهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون ووطنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق .

(يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم ... تبارك الله لي في رؤية الفيل) .

(رأيت بيتا له شيء يحركه ... فكدت أفعل شيئا في السراويل) وقيل إذا اغتم الفيل لم

يكن لسواسه هم إلا الهرب بأنفسهم ويتركونه ومن عجب أمره أن سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يد راكمه فإذا أراد شيئا غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك .

قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الأعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحرق به ثلاثون ألف فارس فلما رآته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها حتى جذبت بالمحاجن وراصتها الفيالون وتزعّم أهل الهند أن